جامـــعة واســـط
مجلـــــــة كليـــــــة التربيـــــة

العـدد الثالث والأربعون
الجزء الثاني/ أيار/٢٠٢١

الهياكل المعظمة عند صابئة حران

م.د. محمد حسب الله علوان
وزارة التربية / المديرية العامة لتربية واسط
mhmdhsballhlwan@gmail.com

الملخص

تمثل دراسة أماكن العبادة لأي ديانة كانت، محورا مهما للاطلاع على هذه الديانة ومعرفة طبيعة معتقداتها وما ارتبط بها من طقوس وأسرار، وممارسات دينية جديرة بالبحث والمتابعة، ومنها (الهياكل المعظمة) عند صابئة حران، التي ارتبط قيامها باعتقادهم بأن الكواكب هي مدبرات العالم واستحالة الوصول للأخيرة لأنها بعيدة ولا ترى بالعين، لذا وجب وجود واسطة تنوب عنها بالإمكان الالتجاء إليها ضمن طقوس وأسرار خاصة بها.

مثلت هذه الهياكل مساحة كبيرة من الاهتمام لدى صابئة حران عامة وعند البعض من المؤرخين المسلمين خاصة، من الذين وجدوا في متابعة هذه الأماكن وما احتوته من طقوس وقضايا، ما يقربهم من الاطلاع على صابئة حران، من حيث معرفة تسميتهم والظروف التاريخية التي رافقت ذلك وتشخيص معتقداتهم وأماكن عبادتهم، ومواقعها وأسمائها وتسميتها ب(الهياكل المعظمة) كدلالة على أهميتها الدينية، ورصد ومتابعة الأمور التي تحدث داخل هذه الهياكل .

ضمت هذه الهياكل عددا من الصور والأصنام، قد مثلت الكواكب وحمل كل منها اسما لكوكب معين ، وقد اختلفت في اشكالها والمعادن التي طليت بها، كما أنها كانت المكان الخاص لإقامة الطقوس الخاصة بها، والتي تسمى (الأسرار الخمسة) ، حيث يقوم الكهنة ومساعديهم بإلقائها على الأولاد الصغار داخل هذه الهياكل ، في سراديب خاصة أعدت لإ قامة هذه الطقوس.

اشتمل البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة ، تناول المبحث الأول تسمية ومعتقدات (صابئة حران)، وكرس المبحث الثاني لدراسة ظهور الهياكل ومواقعها وتصميها وأسمائها والطقوس الخاصة بها ، وخاتمة سجل فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها

الكلمات المفتاحية: الهياكل ، المعظمة ، صابئة، حران، طقوس، الكهنة.

The grandiose structures of the Sabeans of Harran

Abstract

The study of places of worship in any religion is an important focus to learn about this religion and to know the nature of its beliefs and the rituals, secrets and religious practices associated with it worthy of research and follow-up, including the (venerable structures) of the Sabeans of Harran, whose performance was linked to their belief that the planets are the masterminds of the world and the impossibility of reaching the last because it is far and You see with the eye, so it is necessary to have a mediator on whose behalf it is possible to resort to it within its own rituals and secrets.

These structures occupied a large area of interest among the Sabeans of Harran in general and among some Muslim historians in particular, who found in the follow-up of these places and the rituals and issues they contained that brought them closer to knowledge of the Sabeans of Harran in terms of knowledge of their name and the historical conditions that accompanied that and the diagnosis of their beliefs and places of worship And their locations, names, and their designation as (grandiose structures) as an indication of their religious importance and monitoring and following up on the things that happen within these structures.

These structures included a number of images and idols that represented the planets, and each bore a name for a specific planet that differed in its shapes and minerals that were painted, as it was the special place for the rituals of these planets, which are called (the five secrets), which priests and their assistants throw on the little children inside these structures And in private basements prepared for these rituals.

The research included an introduction, two papers and a conclusion. The first topic addressed the research on naming and beliefs (Sabena's of Harran), and the second topic was devoted to studying the emergence of structures, their locations, design, names and rituals, and a conclusion in which he recorded the most important results that we have

Key words: temples, veneration, Sabeans, Harran, rituals, priests.

المقدمة:

يتناول هذا البحث (الهياكل المعظمة عند صابئة حران) وهو محاولة بحثية استهدفت دراسة أماكن العبادة عند صابئة حران، الديانة التي كانت ومازالت موضع اهتمام العديد من المؤرخين المسلمين والباحثين، من حيث تسميتها ومعتقداتها الدينية وغيرها من الأمور التي كانت محاور للبحث والمتابعة.

من الواضح أن اعتقاد (صابئة حران) بأن الكواكب مدبرات لهذا العالم، ساعد في ظهور فكرة المتوسط بينهم وبين هذه الكواكب، التي لا يمكن مشاهدتها أو الوصول اليها، لكونها بعيدة جدا ولابد من وجود من ينوب عنها، وهي الهياكل التي تضمنت عددا من الصور والأصنام التي حمل كل منها أسم لكوكب من الكواكب.

احتلت هذه الهياكل مساحة كبيرة من الأهمية لدى (صابئة حران) ، اذ كانت مصممة لاستقبال الرجال والنساء للعبادة فيها، كما أنها تعد المكان الذي يقام فيه أهم طقوسهم الدينية والمتمثل ب (الأسرار الخمسة) ، التي يلقيها الكهنة على الأولاد الصغار ضمن ممارسات تستمر لمدة أسبوع داخل الهيكل.

تقسم هذه الهياكل على نوعين (هياكل الكواكب) و(هياكل الأشخاص) وكلاهما يقعان في هيكل واحد، ولكن اختلاف بين الاثنين، أن الاول يشير للكواكب بالصور، أما الثاني (الاشخاص) فيتمثل بالأصنام الموجودة داخل الهيكل، كما أنها كانت مختلفة من حيث أحجامها ومواقع تواجدها ، فالبعض منها كبيرة وأخرى صغيرة ، ومنها يقع وسط حران وأخرى في أطرافها، وكانت إدارتها بيد الكهنة الذين يأذنون ببدء الطقوس وانتهائها.

اعتمدنا في كتابة هذا البحث على مصادر متنوعة، ومراجع قريبة من موضوع البحث ثبتت في قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث.

منهج البحث

اعتمدنا المنهج الوصفي التقليدي في التعامل مع الروايات الخاصة بموضوع البحث ، مع الأخذ بنظر الاعتبار وحدة الموضوع .

خطة البحث

أشتمل البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة، خصص المبحث الأول للبحث عن تسمية (صابئة حران) ومعتقدهم الديني ، وكرس المبحث الثاني لدراسة الهياكل أسمائها ومواقعها وتصميمها

وما تضمنته من صور وأصنام وما ارتبط بها من طقوس ، وخاتمة ثبتنا فيها اهم النتائج التي توصلنا إليها.

الهياكل في اللغة:

وردت اكثر من دلالة لغوية في مفردة (هكل) أو (هيكل)، فقد أتت بمعنى البنيان العالي أو المشرف على علو أو ما عظم من أجرام البنيان (الزمخشري،١٩٦٠م، ص١٠٦٣) ، وجاءت في موضع آخر بمعنى الشجرة العظيمة ذات الأغصان المتدلية ، ودلت أيضا على الجواد الطويل علوا والسريع عدوا (الطباطبائي، د.ت، ج٧، ص٢٣٧).

الهياكل في الاصطلاح:

أما في الاصطلاح فيمكننا القول: أنه من المصطلحات التي يكون معناها اللغوي متقاربا مع معناها الاصطلاحي، مع وجود اختلافات بسيطة في المضمون ، فقد جاء أن هذا المصطلح يقصد به البنيان الضخم (الخليل الفراهيدي،١٩٨٨م،ج٣، ص٣٧٧)، وقد شاع استخدامه عند البعض من الديانات، اليهود والنصارى وصابئة حران ، كدلالة على أماكن العبادة مع اختلافات بسيطة في التوصيف فيما بينهم ، فقد مثل عند صابئة حران المعابد بكل تفصيلاتها ، وكانوا يسمون هذه الهياكل (بيوت الأصنام) اشارة للأصنام الموجودة فيها (الشهرستاني، د.ت ،ج٢، ص٤٩) ، أما عند اليهود فقد كانت ترمز الى أماكن العبادة بشكل عام دون أن نعرف بالتحديد أيا من أجزائها ينطبق عليه الوصف، ولعله شمل الجزء الشاخص علوا منها انسجاما مع معناها، أما عند النصارى فيقصد به مكان معين ، وهو صدر الكنيسة وتحديدا الجزء المرتفع قليلا ، وفيه تمثال السيدة مريم العذراء(ع)(النويري، د.ت، ج١٥، ص١٠٠).

المبحث الاول : صابئة حران (نظرة في التسمية والمعتقدات)

أن صابئة حران كانت محطا للبحث من لدن العديد من الباحثين ، ولاسيما التسمية والمعتقدات المحاور الأكثر بحثا ومتابعة ، (الحمد،١٩٧٥م،ص٩٩،ص١٠٠) ، ولهذا لا نود البحث في دقائق الأمور في هذه الامور ، تجنبا من الدخول في تفاصيل بعيدة عن موضوع بحثنا الموسوم (الهياكل المعظمة عند صابئة حران)، وأن يكون نقاشنا منصبا في نقاط رئيسة ذات صلة بموضوع البحث، وفي مقدمتها متى عرفوا بهذه التسمية ؟ وما سبب ارتباط تسميتهم ب (حران) دون غيرها من المدن؟ وما علاقتهم بالصابئة (المندائية *) من حيث المعتقدات والطقوس؟.

بدءا الصابئة من الديانات القديمة التي تزامن ظهورها مع الوثنية وسبقت الديانتين اليهودية والنصرانية (الحسني،١٩٣٥م،ص٩)، وقد ورد لفظ (الصابئة) في القران الكريم في ثلاث مواضع ،

في قوله تعالى **(إِنَّ الذينَ آمنُوا والذينَ هادُواْ والنَصَارىَ وَالصَّـٰبِئينَ مَن آمنَ باللهِ واليومِ الآخِرِ وَعمِلَ صَـٰلحاً فَلَهُم أجرُهُم عندَ ربهِمِ ولا خوفٌ عَلَيهِم ولا هُم يَحزنُونَ)** (البقرة/ ٦٢)، وفي قوله تعالى: **(إن الذينَ آمنُوا والذَينَ هادُواْ والصَّـٰبِئينَ والنصَّـٰرىَ والمَجُوسَ والذَينَ أشركُوا إنَّ اللهَ يَفصِلُ بَينهُم يَومَ القِيـٰمةِ إنَّ اللهَ عَلَى كُلّ شيءٍ شَهيدٌ)** (الحج/١٧)، وفي قوله تعالى: **(ان الذين آمنو والذين هادوا والصابئون والنصارى من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون)** (المائدة/٦٩).

أما في معاجم اللغة فقد جاء لفظ (صابئة) من قول (صبأت) ، أي خرجت من شيء إلى شيء آخر (الجوهري،١٩٨٧م، ص١٨٨؛ الازهري ، ٢٠٠١م،ج١، ص٥) بمعنى من ديانة إلى أخرى ، في حين أرجع البعض من الباحثين اشتقاقها إلى كلمة (صبأ) أو(صبغ) والتي تعني باللغة الآرامية الاغتسال بالماء الجاري(حمادة، ١٩٩٢م،ص٤٣؛ سباهي، ١٩٩٦م، ص٣٢).

ولهذا ذهب البعض، إلى أن المقصود ب(الصابئة) الوارد ذكرهم في الآيات القرآنية المشار اليها انفا، [1]هم الصابئة المندائية، على اعتبار أنهم موحدون ، والاغتسال بالماء الجاري أحد ركائز ديانتهم ، (الحسني،١٩٣٥م،٤٠؛ دراوور، ٢٠٠٦م، ص١٠) .

ولعل ما يهمنا من ذلك أن هذه الآراء قد خصت الصابئة بشكل عام ، والبحث عن أصل تسمية (صابئة حران)، منوط بالجانب الجغرافي والديني الخاص بهذه المدينة التي أضفت على هذه الديانة تسميتها.

حران مدينة قديمة ومعروفة في التاريخ، تقع في نطاق الجزيرة الفراتية (ديار مضر) وتحديدا في مفترق الطريق[2] الموصل ما بين بلاد الشام والموصل وبلاد الروم (ياقوت الحموي،١٩٧٩م، ج٣ ، ص٢٣٥) ، وقد حفاها هذا الموقع بمزايا مهمة ، وخاصة من الناحيتين الدينية و الاجتماعية، إذ إنها كانت محطا قد استقطب العديد من والأقوام المختلفة في أصولها وأديانها، وهذا ما استشفيناه من روايات وآراء العديد من المؤرخين المسلمين والباحثين ، ففي رواية (إخوان الصفاء) حول العمق التاريخي لهذه المدينة ، ذكروا أن اليونانيين قد سكنوا فيها منذ القدم حتى أن (فيثاغورس*) ، عاش ومات فيها (اخوان الصفاء،١٩٧٥م،ج٣، ص٢٠٠)، بينما ذهب (البيروني) في حديثه عنها، انها كانت موطن الإله (سين) (اله القمر) ، وانها كانت هدية لهذا الاله (البيروني، د.ت، ص٢٠٤).

* الصابئة المندائية :- وهم اتباع النبي يحيى (ع) ، وقد اشتقت تسميتهم من الكلمة الآرامية (مندا) و وتعني (عرف) ، وقد هاجروا من فلسطين قديماً واستقروا في خوزستان وميسان ولهم كتاب يسمى (كنز ربا) .(الماجدي ،٢٠١٠ ، ص ١٨)

وقريبا من ذلك ، أشار البعض من الباحثين الى طبيعة النسيج الاجتماعي لهذه المدينة، المتكون من أصول آرامية وبابلية ويونانية ، والآرامية اللغة الأكثر انتشارا بينهم ، وعلى اختلاف أصولهم عرفوا بتقديس الكواكب والنجوم ، ولا نستبعد أن وفدت إليها من ديانات هذه الأقوام (الشهرستاني، د.ت، ج٢، ص٥٢)، حتى أنهم عدوا من أهل الخبرة بالنجوم وأسرارها (الحمد،١٩٩٨م،ص٢٥)، وانتشرت فيها أيضا الوثنية ، حتى انها سميت (عش الوثنية) دلالة على مساحة انتشار هذه الديانة إلى جنب الديانات القديمة الأخرى (الحمد،١٩٩٨م،ص٢٦).

ولهذا ان هذا التنوع في نسيجها الديني والاجتماعي، نعزوه إلى [٣]طبيعة موقعها الجغرافي الذي مهد لقدوم الأقوام المجاورة لها، أمثال اليونانيين والبابليين والأشوريين، دلالة على أهمية هذا الموقع ، بدليل أنها كانت تسمى قصبة بلاد أشور، وملتقى النهرين إشارة إلى نهري (دجلة والفرات) (جاسم،٢٠٠٦م،١٢ص)، وأصبحت مركز الخلافة الاموية في خلافة مروان بن محمد (١٣٢/١٢٧هـ) (ابن الاثير،١٩٩٤م، ج٥، ص٥).

لم يرد ذكر لتسمية (صابئة حران) في الحقب التاريخية التي سبقت القرن الثالث الهجري ، مع أن هذا لا يفسر على انهم لم يكونوا موجودين كديانة ، وإنما هناك تغيير قد طرأ على تسميتهم وأصبحوا يعرفوا ب (صابئة حران) ، أي أن لفظ (صابئة) قد ارتبط بهم في هذه الحقبة ، وهذا ما وثقه (ابن النديم) في رواياته عنهم ، والتي كانت الأكثر اعتمادا عند الباحثين في البحث عن أصل تسميتهم.

أشار(ابن النديم)، إلى أن الخليفة العباسي المأمون (١٩٨/٢١٨هـ) في إحدى غزواته لبلاد الروم، شاهد في طريقه مجموعة من أهل حران قد أثاروا انتباهه وخاصة كهنتهم ؛ لأنهم كانوا يرتدون أزياء غريبة ، وكانت أزيائهم لبس الكتان الأبيض للكهنة مع القلانس وشعورهم الطويلة الموضوعة بين اطواق (الحمد،١٩٩٨م،ص١١) ، فطلب منهم أن يكشفوا عن ديانتهم وأن يبينوا هل هم من أهل الذمة أم من أهل الوثنية (فهرست ابن النديم، د.ت، ص٣٨٥)، وقد [٤]أمهلهم الإجابة لحين عودته من الغزوة ، وقد أصابهم الخوف والأرباك من هذ الموقف ، لو لا أن أشار عليهم رجل من علماء النصارى ، لم يش (ابن النديم) الى اسمه ، أن يقولوا للخليفة عند عودته ، إنهم من الصابئة وبذلك

* فيثاغورس :- عالم وفيلسوف يوناني برع في مجال الطب والهندسة وعلم الاعداد والحساب وتنقل ما بين مصر واليونان وبلاد الشام وتوفي في حران سنة (٤٧٩ ق.م) (ابن ابي اصيبعة ، د.ت ، ص ٦١ ، ٦٢)

*اهل الذمة:- مصطلح شمل كل الديانات التي دخلت في عهد وذمة المسلمين وهم اليهود والنصارى والمجوس والصابئة وغيرهم من اصحاب الديانات التي دخلت بعقد الذمة مع المسلمين . (مشعان ، ٢٠١٠ ،ص ١٧)

يكونون آمنيين من العقوبة ، لأن الصابئة من (أهل الذمة*) ، ومنها عرفوا ب (صابئة حران) في ما بعد.

إن مع اهمية ما ذكره (ابن النديم) ، باعتباره من أوائل المؤرخين المسلمين المهتمين بمتابعة الديانات والفرق ومنها صابئة حران ، وأهمية كتابه (فهرست ابن النديم) كمصدر مهم لدراسة هذه الديانة، إلا ان هناك ما يدفعنا لطرح سؤالا مفاده، لماذا أشار عليهم هذا الرجل وهو من فقهاء النصارى كما ورد في الرواية، أن يقولوا للمأمون إنهم صابئة ولم يقل لهم قولوا يهودا أو نصارى ، وهما أيضا من أهل الذمة ، فضلا عن ذلك ، أن النصارى من الديانات التي وجدت في حران (البلاذري، ٢٠١٠م، ص٢٣٩) ، فما الداعي إلى أن يقول لهم قولوا له صابئة ؟ ، هل كان لديه قصد بذلك ؟ أم كان جوابه مساعدة لهم بدون قصد؟

بأعتقادنا أن السبب الذي دفعه أن يدلي بهذه النصيحة، هو وجود بعض الأمور الخاصة بأهل حران ومعتقداتهم الدينية، وهي التي شجعته أن يقول لهم قولوا (صابئة) دون غيرها من الديانات، وأولها : إن اوضاعهم العامة والدينية خاصة ، قد اكتنفها الغموض؛ لكونهم خليط من الديانات القديمة (الحمد،١٩٩٨،ص٨)، ولهذا لم يشر إليهم أن يقولوا نصارى أو يهود ، واشار اليهم بتسمية (صابئة) ، وهم اكثر الديانات التي اكتنفها الطابع السري (الحمد،١٩٩٨م، ص١١٣)، وثانيا : إن الأزياء الغريبة التي قد شاهدها المأمون لديهم ، هي مشابهة وقريبة جدا من أزياء الصابئة
(حمادة ،١٩٩٢،ص٩٥).

مما تقدم ظهر أن (صابئة حران)، ديانة قديمة ذات معتقدات تقوم على أساس تقديس الكواكب والنجوم ، وهم بالأصل خليط من ديانات قديمة قد سكنت حران منذ حقب تاريخية قديمة ، وعرفوا بهذا الاسم منذ القرن (الثالث الهجري / التاسع الميلادي)، نسبة لحادثتهم مع الخليفة العباسي المأمون .
أما عن علاقتهم بالصابئة المندائية ، فيمكننا القول: إنها محط اختلاف بين الباحثين ، فمنهم من ذهب إلى أنهم بالأصل جزء من الصابئة المندائية (حمادة،١٩٩٢م،ص٤٢)، ومنهم من أكد على عدم وجود أي علاقة بين الاثنين، وأنهما يشتركان في لفظ (صابئة) فقط .(الحمد،١٩٩٨م، ص٢٦٠).

وباعتقادنا أن الرأي الأخير هو الأوفر حظا وقبولا ، لعدة اعتبارات أولها ، اختلاف المعتقدات الدينية والعبادات بينهم ، (الصابئة المندائية) موحدون ويؤمنون بأن الله واحد أزلي أبدي منزه عن الطبيعة والمادة (حمادة ،١٩٩٢، ص٦٨)، بينما (صابئة حران) عدوا الكواكب مدبرات لهذا العالم، واعتقدوا بوجود أرواح لهذه الكواكب (ابن الاثير،١٩٦٦م،ج١، ص٦٧)، فضلا عن ذلك،(المندائيين)

لديهم (التعميد) وهو الاغتسال والتطهر بالماء ، وهو ركن أساسي في ديانتهم ، بينما لا نجد التعميد عند صابئة حران (الحسني،١٩٣٥م، ص٥٣).

وكذلك في الصلاة، (المندائيين) يصلون ثلاث مرات باليوم قبل طلوع الشمس وعند الزوال وعند الغروب، وتكون صلاتهم مقتصرة على الوقوف والركوع والجلوس(الحسني،١٩٣٥م،ص٤١)، بينما صلاة (صابئة حران) مرة واحدة باليوم وعددها ثمان ركعات، وكان لكل كوكب صلاة خاصة به، السبت لزحل والأحد للشمس والاثنين للقمر والثلاثاء للمريخ وهكذا مع بقية الكواكب (ابن النديم، د.ت، ص٣٨٦).

أما عن الصيام فالمندائية صومهم ثلاث وثلاثون يوما متفرقة من السنة، يمتنعون فيها عن أكل اللحم فقط (حمادة ،١٩٩٢م، ص١٠١) ، بينما صابئة حران صومهم أيام معلومة من السنة ، يمتنعون فيها عن أكل ما خرج من الحيوان من سمن وحليب، ووقته من طلوع الشمس إلى ما بعد الغروب (الحمد،١٩٩٨م،ص٥٦،ص٥٧).

المبحث الثاني (الهياكل ظهورها وأسمائها وطقوسها)

اولا: ظهورها و أحجامها وأسمائها

عبادة أو تقديس الشمس والقمر والكواكب والنجوم والظواهر الفلكية الأخرى، وجدت لدن العديد من الديانات القديمة (باندر،١٩٩٣م،ص٤٩، ص٥٠)، وصابئة حران واحدة من هذه الديانات التي قدست الكواكب والنجوم ، وقد ارتكزت عليها عقيدتهم ؛ لاعتقادهم أن هذه مدبرات العالم (ابن حزم، د.ت،ج١، ص٥٠) ، وعلى هذا الأساس أقاموا لها اماكن عبادة (هياكل) خاصة بها.

إن فكرة ظهور هذه الهياكل وارتباطها بالمعتقدات الدينية لصابئة حران ، كانت حاضرة في دائرة اهتمام العديد من المؤرخين المسلمين من الذين تضمنت مؤلفاتهم الديانات الأخرى، ومنهم المؤرخ الكبير (المسعودي) .

اذ قدم لنا هذا المؤرخ في حديثه عن (حران) ، تصورا مهما عن اعتقاداتهم بهذه الكواكب وسبب تقديسهم لها واعتقادهم بوجود أرواح فيها ، وتكمن أهمية ما ذكره ، أنه استمد معلوماته عنهم من أحد العارفين بهم ومن سكنة حران ، أثناء زيارته لهذه المدينة ، وذكر أنهم يعللون ذلك، أن هذه الكواكب تختفي نهارا وتظهر ليلا ، كما انها بعيدة واستحالة الوصول إليها ، لذا ظهرت لديهم فكرة البحث عن متوسط بينهم وبين هذا الكواكب ، تكون مهمته القيام بمهامها في الأرض، ومنها ظهرت هذه (هياكل) كوسيط بينهم وبينها ، وتجسد هذا الوسيط بأشكال متنوعة صور وأوثان قد حملت أسماء هذه الكواكب سميت ب(هياكل الاشخاص) (المسعودي،١٩٨٤م،ج٢، ص٢٢٥).

وقريبا من ذلك، أظهر (الشهرستاني) و(الرازي) اهتمامها بوجود هذه (الهياكل) عند (صابئة حران)، وتلخصت آرائهم، بأن صابئة حران اعتقدوا بمبدأ وجود متوسط بينهم وبين هذه الكواكب ، وعللوا ذلك، أن هذا المتوسط يجب أن يرى وأن يتوجهوا اليه في عبادتهم، ولهذا أصبحت هذه الهياكل حلقة الوصل بينهم وبين هذه الكواكب مدبرات العالم لديهم (الشهرستاني، د.ت،ج٢، ص٥٠، الرازي،١٩٨٠م،ج١، ص٩٠).

نستشف مما ذكر أن ارتباط ظهور هذه الهياكل بالكواكب قد أضفى عليها قدسية عند صابئة حران ، ولا نستبعد ان لفظ (الهياكل المعظمة) قد جاء للدلالة على مدى هذه الأهمية .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الهياكل مختلفة الأحجام ، ولم تكن على نمط معين من التصميم ، كما أنها مختلفة في أماكن تواجدها، ، ففي الحديث عن أحجامها ، هناك هياكل كبيرة وأخرى صغيرة ، ومن الشواهد في ذلك أن (المسعودي) في زيارته لحران، وثق لنا مشاهدته لهيكل كبير يقع في وسط المدينة يدعى (مغليتيا) ، ولم يبين لنا معنى هذه الاسم ، ويبدو أنه مكتوب بلغتهم (المسعودي،١٩٨٤م،ج٢، ص٢٣٩).

وفي المضمون نفسه ذكر (الأدريسي) في حديثه عن حران وجود معبد (هيكل) كبير لصابئة حران ، يقع على تل في نفس المدينة (الأدريسي،١٩٨٩م،ج،ص١٦٣)، ، وفي رواية (ياقوت الحموي) أنه في أحدى قرى هذه المدينة ، يقع هيكل صغير يدعى (ترع عوز) ومعناها لديهم باب الزهرة (ياقوت،١٩٧٨م،ج٢، ص٢٢).

أما من حيث تصاميمها ودلالتها المعمارية ، أنها لم تكن ذات مساحات مفتوحة، وإنما كان °كل هيكل متكون من قسمين ، وأحد للرجال وآخر للنساء ، وصمم في كل قسم غرفة مربعة خالية من النوافذ فيها صورة (البروج الاثنى عشر*) وصور الكواكب أيضا وتسمى (بيت السر) ، (اخوان الصفاء،١٩٧٥م،٤، ص٣٠٤).

ولا نستبعد أن تكون هذه الغرفة من الأماكن المهمة في الهيكل إن لم تكن الأهم بينها، ودليلنا في ذلك، أنها حملت دلالة دينية خاصة بأسرار ديانتهم ، كما واضح من تسميتها (بيت السر) ، فضلا عن ذلك، أنها المكان الذي يتواجد به كبار الكهنة داخل الهيكل مما زاد من أهميتها ، (اخوان الصفاء،١٩٧٥م،ج٤،ص٣٠٥)، ومن أقسام الهياكل أيضا ، وجود أربع سراديب في كل هيكل ، قد

* البروج الاثنى عشر :- وقصد بها الفلكين المنازل المقدرة للكواكب وهذا البروج (الحمل ،الثور :الجوزاء : السرطان ، الاسد ، السنبلة ، الميزان ، العقرب ، القوس ، الجدي ، الدلو ، الحوت) . (المحقق الحلي ، ١٩٨٨ ، ص ٤٩٢)

ضم كل منها عدد من الأصنام، يشير كل منها إلى كوكب معين ، فضلا عن ذلك أن هذه السراديب هي المكان الذي تقام به العبادات (المسعودي،١٩٨٤م،ج٢، ص٢٣٧).

لقد صمتت المصادر التي اعتمدناها في متابعة هذا الموضوع عن ذكر السبب وراء تصميم هذه الهياكل بهذا الشكل ، ولا نستبعد أن تكون السرية الذي اكتنفت طقوسهم ومعتقداتهم قد حالت دون الوصول الى ذلك.

أما في مجال أسماء هذه الهياكل وما تضمنته من صور ، فإنه قد يفسر بسبب ارتباط قسم منها بطبيعة معتقداتهم، والتي أضفت عليها هذه الاسماء، أي أن اعتقادهم بوجود أرواح في هذه الكواكب هي الدافع الأساس لذلك، وشاهدنا في ذلك، طبيعة أسمائها ، هيكل العلة الأولى ، هيكل العقل ، هيكل السياسة ، هيكل الصورة، هيكل النفس (الشهرستاني، د.ت،ج٢، ص٥٦) .

وهنا يمكن أن نذكر سببين، قد دفعا بنا الى تبني هذا الرأي ، أولهما: إن تفسير أسماء هذه الهياكل قد اكتنفها الغموض؛ لكونه قد ارتبط بأكثر الأماكن سرية لديهم ، وهي الهياكل وما فيها من أسرار، وثانيا: وهو الأقرب للقناعة باعتقادنا، ما ذهب إليه (الشهرستاني) في حديثه عن هذه الهياكل، بأن أصحابها يسمون (أصحاب الروحانيات) ، دلالة على ارتباط المسميات بالمعتقد (الشهرستاني، د.ت،ج٢، ص٥٦)، أي أن اسمائها أخذت صبغة روحانية مثل العقل، النفس، وغيرها من الأسماء التي سيرد ذكرها.

وفي موضع آخر، سميت البعض من هذه الهياكل بأسماء الكواكب ، كما هو الحال في الهيكل الموجود في قرية (ترعوز) ويسمى هيكل الزهرة ، والذي عني به بلغتهم باب الزهرة(ياقوت،١٩٧٨م، ج٢، ص٢٢) ، والهيكل الذي اشار اليه (المسعودي) في وسط حران ويدعى هيكل (مغليتيا) ولم يبين لنا معناه، واكتفى بالقول إنه يقع في مكان يسمى باب الرقة (المسعودي،١٩٨٤م،ج٢، ص٢٣٩) ، ولا نستبعد أن يكون أسما لأحد الكواكب بلغتهم.

ولا يفوتنا القول: أن هذه الهياكل تضمنت عددا من الصور يرمز كل منها الى كوكب، وكانت مختلفة في حجمها وشكلها، فقد كانت الصورة التي ترمز للشمس مصنوعة من الذهب، وكانت صورة القمر من الفضة ، وصورة زحل من الحديد ، وصورة المشتري من الزئبق ، وصورة عطارد من الرصاص (الحمد،١٩٩٨م،ص٥٩، ص٦٠) ، ولم نعثر عن السبب في اختلاف المعادن في صناعة هذه الصور، هل كانت مكانة هذه الكواكب هي الدافع أم غير ذلك ؟ .

وقريبا من ذلك ، يضاف مع هذه الصور وجود عدد من الأصنام مختلفة الأشكال يرمز كل منها لكوكب معين، فقد كان صنم زحل سداسي الشكل، وصنم المشتري مثلث الشكل ، وصنم المريخ

مربع الشكل، وصنم الزهرة مثلث في داخل مربع ، وصنم عطارد مثلث في داخله مربع، وصنم القمر مثمن الشكل (الشهرستاني، د.ت،ج٢، ص٥٦)، ولم نعثر في ما توفر لدينا من معلومات عن العلة التي تقف وراء اختلاف أشكال هذه الأصنام ، وكما أشرنا سابقا إلى أن الطابع السري والتحفظ في الافصاح عن هذه الشعائر والممارسات المرتبطة بها عند صابئة حران قد حال دون معرفة الكثير من الأمور عنها.

ومع صعوبة ذلك ، قدم لنا (المسعودي) تصورا عن البعض من طقوسهم وممارستهم داخل الهياكل ، إذ يقومون بالدخول للسراديب الموجودة فيها ويقفون أمام عدد من الأصنام ، التي يقف خلفها مجموعة من الكهنة يقومون باطلاق أصوات تشعر المقابل أن الأصنام تحدثه (المسعودي، ١٩٨٤م،ج٢، ص٢٤٠)، وكانوا يصطحبون معهم أطفالهم الذين يعتريهم الخوف وتعتلي وجوههم الصفرة بتعبير المؤرخ داخل هذه الهياكل، بعد سماعهم هذه الأصوات (المسعودي،ج٢، ص٢٣٧).

ويبدو أن هذه الممارسة قد استرعت انتباه واهتمام (المسعودي) ، الذي علل مسألة خروج هذه الأصوات من خلف الأصنام انها خدعة من قبل الكهنة ، لإ ضفاء الهيبة والخوف أثناء ممارسة الطقوس داخل الهيكل، و قدم تفسيرا لما ذهب اليه ، بأن هناك منافخ وهي أشبه بأنابيب ، قد امتدت بصورة خفية داخل الاصنام ، يقوم الكهنة بالوقوف خلفها ويطلقون الأصوات .(المسعودي،ج٢، ص٢٣٩).

ثانيا : الطقوس الخاصة بها

إن اهتمام صابئة حران بهذه الهياكل ، لم يكن مقتصرا على تصميمها أو اسمائها أو أصنامها وصورها ، وإنما كان لهذه الهياكل طقوس خاصة ، متمثلة بزيارتها وتقديم القرابين لها ، فقد كانت الأغنام والأبقار والديكة تزين و تقدم كقرابين (ابن النديم،د.ت،ص٣٩٠) ، ولم تكن زيارتها في كل وقت، وإنما لكل كوكب وقت خاص لزيارته ، ولديه لباس وبخور خاص به أثناء الزيارة (الشهرستاني، د.ت،ج٢، ص٤٩).

لم نشخص السبب في وجود زيارة لكل كوكب ، ولماذا لم تكن زيارة واحدة ؟ ولا نستبعد أن تكون العلة وراء ذلك ؛ أن هذه الكواكب لم تكن على مكانة واحدة من حيث الأهمية ، بدليل أنهم جعلوا (الكواكب السبعة*[٦]) في مقدمة هذه الكواكب من حيث المكانة(الحمد،١٩٩٨م،ص٥٨،ص٥٩) زد على ذلك، أن اختلاف طلاء صور الكواكب داخل الهياكل كما ذكرنا سابقا ، ما بين الذهب

* الكواكب السبعة :- وقصد بها الكواكب السبعة المعروفة (الشمس ، القمر ،عطارد ، الزهرة ، المشتري ، المريخ ، زحل) . (القلقشندي ، ١٩١٨)
** السدنة :- ومفردها سادن وتعني الناس الذين يتولون خدمة المعابد . (ابن منظور ، د.ت ،ج ١٣ ، ص٢٠٧)

والفضة والحديد والرصاص، دلالة واضحة على أنها مختلفة في المكانة ، وإلا لماذا لم تطل بمعدن واحد ؟ (الحمد،١٩٩٨م،ص٥٩)،

وارتباطا بهذه الزيارات، كان لكل كوكب لباس وخاتم وبخور خاص به ، وكانوا يرتدون هذه الملابس أثناء زيارتهم ويقرؤون دعاءا خاصا به (الحمد، ١٩٩٨م، ص٥٩).

ومن الواضح أن هذه الطقوس لم تكن مقتصرة على الكبار أو النساء فقط ، وانما كان يسمح للأطفال بالدخول لهذه الهياكل ، وقد وثق لنا (المسعودي) ذلك، عندما وصف حالة الخوف التي تعتلي وجوهم أثناء وجودهم في الهياكل، وكيف علل ذلك بأنه خدعة من قبل الكهنة (المسعودي،ج٢، ص٢٣٩).

إن الطقوس المقامة في هذه الهياكل ، كانت بيد الكهنة ومساعديهم (السدنة **) ، وهذا ما استشفيناه من رواية (ابن النديم) عند حديثه عن(صابئة حران)، إذ أنه جاء مكملاً لما ذكره (المسعودي) في هذه المسألة مع شيء من التفصيل، إذ أنه أشار إلى اطلاعه على كتاب خاص بصابئة حران مكتوبا باللغة السريانية، وذكر أنه لم يطلع على جميع التفاصيل لسبب تعثر الترجمة (ابن النديم، د.ت،ص٣٩١)، ولكنه رغم ذلك قدم لنا معلومات مهمة عن هذه الطقوس وما ارتبط بها من ممارسات.

بدءا أنها تقوم باشراف الكهنة ومساعديهم، وتستمر سبعة أيام برفقة الأولاد الصغار داخل الهيكل، وأول من يعلن قيامها الكاهن، إذ تكون بدايتها مع إعلان الكاهن (الأسرار الخمسة) في الهيكل، وكان لكل سر من هذه الأسرار اسم وطقوس خاصة به ، ولعل عدم حصول (ابن النديم) على معلومات أكثر عن هذه الأسرار الخمسة ، دفعه أن يبدأ حديثه بالسر الثاني وليس الأول لعدم اطلاعه على الأخير، والسر(الثاني) واسمه (سر الأبالسة والأوثان) ولم يبين السبب في تسميته بهذا الاسم (ابن النديم، د.ت، ص٢٩١) ، إذ يقوم الكاهن بتلاوته على الصغار بحديث خاص لم يبين تفاصيله، وبعد الانتهاء يبدا بالسر(الثالث) واسمه (القول والنظر) ، وأيضا حمل نفس طقوس السر الثاني ، وكذلك السر(الرابع) واسمه (الإنصات)، والسر(الخامس) واسمه (الاستماع) وجميعها تتم بنفس الطقوس، أي تتلى على الأولاد من قبل الكاهن (ابن النديم، د.ت، ص٢٩٢).

يبدو أن عملية سماع هذه الأسرار من لدن الأولاد، لم تكن نهاية لهذه الطقوس، إذ إن هناك ممارسة اخرى متمثلة بالطلب من الأولاد أن يهتفوا بعبارات تدل على إنصاتهم الجيد والاستماع لمضمون هذه الأسرار وأنهم أتقنوها جيدا، ويختمون كلامهم بعبارة (ربنا القاهر ونحن نسره) دلالة على اجتيازهم لهذه المهمة (ابن النديم، د.ت، ص٣٩٢).

أما الأولاد الذين لم يوفقوا في إقامة هذه الطقوس، بسبب الخوف أو الارتباك الذي أشرنا اليه سابقا، فهناك إجراء خاص بهم ، تمثل بحجزهم داخل الهيكل لمدة أسبوع ، لا يسمح لأي أحد بزيارتهم أثناء هذه المدة ، مع توفر الطعام والشراب لهم (ابن النديم، د.ت،٣٩١).

وفي مسألة تقييم هذا الإجراء يمكننا القول: إنه محاولة استهدفت تهيئتهم جيدا داخل الهياكل، وحثهم على ممارسة الطقوس دون خوف أو ارباك، بدليل أنه لم يكن احتجازا فقط، إنما كانوا يمارسون طقوسا خاصة أثناء وقت الاحتجاز ، منها شرب الماء بأقداح خاصة بهذه الهياكل تسمى بلغتهم (يسورا)، وسمي المكان الذي وضعت فيه هذه الأقداح (فاعا)، ويقومون بمسح أعينهم بمائها ، الى انتهاء هذه الطقوس بحضور الكاهن ، الذي بمجرد مشاهدته لشرب الماء والاغتسال به، يأذن بانتهائها (ابن النديم، د.ت، ص٣٩١، ص٣٩٢).

يظهر مما تقدم ذكره ، أن الفئة المعنية بتعلم هذه الطقوس هم الأولاد الصغار، ولعلهم قصدوا، ان يجعلوهم في تماس مباشر مع الكهنة داخل هذه الهياكل، حتى يتسنى لهم تعلم وإتقان الطقوس بشكل جيد ومذ مراحل مبكرة من أعمارهم، فضلا عن ذلك، أن هذه الطقوس كانت تقام بأمر الكاهن وبإشرافه دلالة على أهميتها في ما لو كانت مكتوبة، أو كانوا يتعلمونها خارج الهيكل الذي أضفى عليها القدسية ، باعتباره المكان المخصص للكواكب المقدسة، والأفضل لقيام هذه الطقوس .

الخاتمة

- إن مصطلح (الهياكل المعظمة) عند (صابئة حران) مثل أماكن العبادة، وقد ظهرت هذه (الهياكل) لاعتقادهم أن هذه الكواكب مدبرات العالم واستحالة الوصول إليها ، فأقاموها كواسطة بينهم وبينها .

- (صابئة حران) ديانة قديمة لها معتقداتها وطقوسها، وليس لديها أية علاقة مع (الصابئة المندائيين) من حيث المعتقدات والطقوس والعبادات ، ويتشابهان بلفظ (صابئة) فقط.

- عرف (أهل حران) ب (صابئة حران) في القرن (الثالث الهجري / الثامن الميلادي) نسبة لحادثة تاريخية مع الخليفة العباسي(المأمون)، ولم يعرفوا قبل ذلك بهذه التسمية.

- تعد هذه (الهياكل) وسيطا بين صابئة حران والكواكب ، وقد ضمت عددا من الأصنام والصور التي ترمز لهذه الكواكب، وهي على نوعين (هياكل الكواكب) و(هياكل الأشخاص) ، والفرق بينهما أن هياكل الكواكب مثلت بالصور داخل الهياكل ، أما هياكل الأشخاص تمثلت بالأصنام التي حمل كل منها اسما وشكل كوكب معين.

– تختلف هذه (الهياكل) في مواقعها وأسمائها وأحجامها ، فالبعض منها يقع في وسط المدينة والبعض في أطرافها وآخر على أماكن مرتفعة، وبعضها حمل أسماء هيكل العقل أو الصورة، والبعض الآخر حمل أسماء الكواكب، أمثال هيكل الزهرة، وصور الكواكب أيضا مختلفة من حيث طلائها ، واحدة بالذهب وأخرى بالنحاس وأخرى بالرصاص وغيرها من المعادن.

– لكل كوكب داخل (الهيكل) زيارة ودعاء خاص به، مع وجود ثياب وعطور وخاتم يستخدم للدعاء أثناء زيارة هذا الكوكب .

– صممت هذه (الهياكل) على شكل بناء قسم إلى قسمين ، أحدهما للرجال وأخر للنساء ، وفي داخلها توجد أربع سراديب تنتهي بغرفة مربعة بدون نوافذ تسمى (سر الأسرار).

– لهذه (الهياكل) طقوس خاصة ، متمثلة بأناشيد دينية تسمى (الأسرار الخمسة) ، يقوم الكاهن ومساعديه من السدنة بتلاوتها على الأولاد الصغار.

– تقام هذه الطقوس لمدة سبعة أيام داخل الهيكل ويحجز الأولاد الذين اخفقوا أو ارتبكوا في أدائها داخل الهيكل حتى يتقنوها جيدا.

- الكهنة هم الفئة التي تتولى إدارة هذه (الهياكل)، والمعنيين بإقامة هذه الطقوس وانتهائها.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

اولا : المصادر

- ابن الأثير، عز الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم :

الكامل في التاريخ، تحقيق، عبدالله القاضي، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية ،١٩٦٦م.

- أخوان الصفاء وخلان الوفاء :

رسائل أخوان الصفاء وخلان الوفاء، بيروت، دار صادر،١٩٧٥م.

- الادريسي ، ابو عبدالله محمد بن محمد :

نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ط١، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٩م.

- أبن ابي أصيبعة، موفق الدين احمد بن القاسم :

عيون الانباء في طبقات الاطباء، تحقيق، نزار رضا، بيروت، دار ومكتبة الحياة، بلا تاريخ.

- البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر :

فتوح البلدان، تحقيق، عبدالله انيس الطباع، بيروت، مؤسسة المعارف، ١٩٨٧م.

- البيروني، ابو الريحان محمد بن احمد :

الاثار الباقية في القرون الخالية، بغداد ، مكتبة المثنى، بلا تاريخ.

الجوهري، اسماعيل بن حماد :

• الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق، احمد عبد الغفور، ط٤، بيروت، دار العلم، ١٩٨٧م.
• ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد :
الفصل في الملل والاهواء والنحل ، ط١، بيروت ، دار صادر ، ١٣١٨م.
• الخليل الفراهيدي، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد :
العين، تح : مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي ، ط٢، قم ، دار الهجرة ، ١٤٠٩، ١٩٨٨م))
• الرازي، محمد بن عمر :
اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تح: علي النشار ،دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٤٠٢م)
• الزمخشري، ابو القاسم محمود بن عمر:
اساس البلاغة ، القاهرة ، دار الشعب، ١٩٦٠م.
• الازهري ، ابو منصور محمد بن احمد :
تهذيب اللغة ، تحقيق، محمد عوض مرعب ، ط١،بيروت، دار احياء التراث،٢٠٠١م.
• الشهرستاني، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم :
الملل والنحل ، تحقيق، محمد بن فتح بدران ، ط٢ ، القاهرة، بلا تاريخ.
• الطباطبائي، محمد حسين :
تفسير الميزان ، قم ، مؤسسة النشر الاسلامي ، بلا تاريخ.
• القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي :
صبح الاعشى في صناعة الانشا، القاهرة، المطبعة الاميرية،١٩١٨م.
• المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين :
مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط٢، قم ، دار الهجرة ، ١٩٨٤م.
ابن النديم ، ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب :
• فهرست ابن النديم ، تحقيق، رضا تجدد بلا تاريخ.
• النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب:
نهاية الأرب في فنون الأدب ، القاهرة، المؤسسة المصرية للكتاب بلا تاريخ.
ياقوت الحموي، ياقوت بن عبدالله :
• معجم البلدان ، بيروت، دار احياء التراث العربي،١٩٧٨م.
ثانيا: المراجع
• بارندر، جفري :
المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: امام عبد الفتاح ، الكويت ، عالم المعرفة،١٩٩٣م
• جاسم، حامد عبيد :
مدينة حران دراسة في اوضاعها السياسية والدينية والاجتماعية والعلمية، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية التربية / ابن رشد، جامعة بغداد ، ٢٠٠٦م.
• الحسني ، عبد الرزاق :
الصابئة قديما وحديثا، ط١، القاهرة، ١٩٣٥ ، مكتب الخانجي، ١٩٣٥م.

- الحمد ، محمد عبد الحميد :

صائبة حران واخوان الصفا، ط١، (دمشق،١٩٩٨)

- حمادة ، محمد عمر:

تاريخ الصابئة المندائيين ، ط١، بيروت، دار قتيبة ،١٩٩٢م.

- سباهي ، عزيز :

اصول الصابئة المندائية ومعتقداتهم الدينية ، ط١، دمشق، دار المدى ، ،١٩٩٦م.

- علي ، جواد:

تاريخ العرب قبل الاسلام، بغداد ، مطبعة المجمع العلمي ، ،١٩٥٧م.

- الماجدي ،خزعل :

الميثولوجيا المندائية ،سوريا، دار نينوى، ٢٠١٠م.

- مشعان ، محمود شكر

أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي ، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية التربية/ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠١٠م.